

مبان أثرية لها مذاق خاص

شارع المعز... حكاية ألف عام

شهد شارع المعز أبهى المواكب والاحتفالات التي نظمها الخلفاء وشاركوا فيها

الى ٣٦٠ وكالة في العصر العثماني بجوار خان الخليلي والبندقانيين والغورية والأزهر والمؤيد شيخ وازدهرت تجارة البن والنحاس والخراطة وصناعة الصناديق وكان حول باب زويلة خمس أسواق وست عشرة وكالة تجارية وكان الازدهار الاقتصادي للشارع يدفع الحرفيين والتجار للطموح في السكن في أقرب مكان من الوسط التجاري حيث توجد الأسواق والوكالات والخانات رغم غلاء المساكن بالشارع. وحرص عبدالرحمن كتحدا على انشاء سبيله لانهارة الشارع وسقاية المارة اذ تنص حجة وقف السبيل على تخصيص النفقات اللازمة لانارة قنديل واحد أمام باب السبيل خلال أيام العام وثلاثة قناديل خلال شهر رمضان.

أهم منشآت الشارع المعمارية الإسلامية

ينفرد شارع المعز بالكثير من المنشآت المعمارية الإسلامية النادرة وهذه بعض الاختيارات الخاصة التي تعتبر في شارع المعز: باب الفتوح وجامع الحاكم ومسجد وسبيل وكتاب سليمان أغا السلحدار ومنزل مصطفى جعفر وجامع الأقرم وسبيل وكتاب عبدالرحمن كتحدا قصر الأمير بشنكا والمدرسة الكاملة وسبيل محمد علي بالنحاسين ومجموعة السلطان قلاوون وقبة الصالح نجم الدين أيوب وسبيل وكتاب خسرو باشا.

وبشارع المعز الكثير من المنشآت المدهشة الأخرى ومنها بيت السحيمي وبيت القاضي ومسجد وسبيل وكتاب الشيخ علي المطهر ومدرسة الأشرف برسباي ومدرسة الغوري وسبيله وكتابه ومقعده وجامع الفكاهاني وسبيل محمد علي بالعقاديين ومسجد المؤيد شيخ وحمام السكرية وسبيل ووكالة نفيسة البيضا وباب زويلة ومدرسة ومسجد السلطان برفوق ونجد أيضا معظم الحرف اليدوية: الخيامية والسروجية والسيوفية والمهمازيين واللجيين والكفتيين والنحاسيين والفحاميين والسرايين والبطارنيين والمناخلية والسكرية والمغربلين.. وغيرها.

جنوباً. وفي سنة ١٤٥٧م أصدر السلطان اينال أمرا بتوسيع الشارع ومن بعده شرع الأمير يشك في توسيع الطوق والشوارع والأزقة وتبييض واجهات ومدخل الجوامع وتوالي اهتمام الممالك باصلاح وترميم الصروح القديمة مثل جامع الحاكم عام ١٤٤١م وتشديد جامع المؤيد شيخ ١٤٢٠م وجامع برسباي ١٤٢٢م.

وفي نهاية عصر المماليك وضحت بصمات قايتباي والغوري على المنطقة مثل: باب النصر البندقانيين الزجاجين الخشابين وشيد وكالتين وخانا في خان الخليلي.

أما السلطان قنصوه الغوري فقد أقام جامعة ومدرسة وشيد سبيلا وضريحاً وبعض الملحقات. ومع ضعف الدولة المملوكية حرص

الغوري على أن يكون موكب خروجه من مصر وملازمة العثمانيين في الشام رمزا لقوة الدولة ومجدها بحضور الأمراء وكبار الموظفين المدنيين وناظر الحسبة والقضاة وأستادار المالية وكتاب الخزانة الشريفة ونقيب الجيوش والسادات الأشراف اخوة الشريف بركات أمير مكة. دخل هذا الموكب من باب زويلة وعبر القاهرة حتى خرج من باب النصر وسط تهليل الناس ودارت الدائرة على الممالك فانهزم جيشهم أمام العثمانيين في مرج دابق ومات سلطانهم الغوري تحت سنابك الخيل ثم هزيمة طومان باي في الريدانية عام ١٥١٧م حتى انتهى الأمر بشنقه وتعليقه على باب زويلة لتفقد مصر مكانتها وتتحول من عاصمة للخلافة العثمانية الي مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية.

شارع المعز في العصر العثماني

واصلت القاهرة نموها التجاري والاقتصادي واحتلت مركزا محوريا في التجارة العثمانية الداخلية وكانت مواسم الحج ذات فائدة عظيمة استفادت منها القاهرة كموقع أساسي في تجمع قوافل الحجيج وقد ساعدت هذه العوامل على نمو المناطق التجارية بالشارع الأعظم وتضاعف الوكالات التجارية من ٥٨ وكالة في العصر المملوكي



• شارع المعز

الرائعة بشارع المعز والتي شغل معظمها الجانب الغربي من الشارع في المنطقة التي كانت معروفة بميدان بين القصرين وأنشأ قلاوون البيمارستان الذي كان واحدا من أروع مباني الممالك المعمارية والوظيفية كمؤسسة علاجية ضمن مجموعة معمارية لا تقل روعة عنه تضم مدرسة وضريحاً كما استخدم الممالك هذه المنطقة كمكان مفضل للحفلات الرسمية والمواكب التي حفلت بالكثير من مظاهر البذخ والترف الذي عرفته القاهرة في عصر المماليك. وقد شهدت القاهرة ازدهارا عمرانياً في أيام قلاوون ونشاطاً تجارياً في المنطقة الممتدة بين الصاغة والحكيين والتي كانت تحتوي على ثلاث وعشرين سوقاً وثلاث وعشرين وكالة. وكانت الأحياء الجنوبية للقاهرة خارج باب زويلة تحوي مراكز تجارية عديدة خاصة على طول الشارع الأعظم الممتد من باب زويلة وحتى السيدة نفيسة أما الأسواق الواقعة فيما وراء الخليج فكانت سويقات غير متخصصة لتجارة أو حرفة معينة وكانت تقع على طول الشوارع التي تربط باب القنطرة بباب البحر شمالاً وباب الخرق بباب اللوق

في الشارع ومنطقة بين القصرين منذ العصر الأيوبي وحتى المملوكي وقد أمر صلاح الدين باقامة بيمارستان «مستشفى» في قاعة القصر الشرقي الكبير وزوده بالأطباء والجراحين والمرضين وشيد أول خانقاة للصوفية في قصر سعيد السعداء خصي الخليفة المستنصر واختار السلطان الكامل منطقة بين القصرين لبناء مدرسته في داخل منطقة القصور وفي عهد الصالح نجم الدين أيوب هدم جزء من القصر الشرقي الكبير لاقامة المدرسة الصالحية وفي سنة ١٢٥٠م قامت الملكة شجرة الدر ببناء ضريح لزوجها الصالح نجم الدين بجوار هذه المدرسة.

شارع المعز في العصر المملوكي

استمر الامتداد العمراني للشارع الأعظم من ناحية باب زويلة ليستمر في الامتداد باتجاه الفسطاط مروراً بمناطق النمو العمراني الجديدة حتى الصليبية الطولونية وصولاً الى السيدة نفيسة. وكان الظاهر بيبرس أقام منشآت بالشارع ومنها مدرسته بجوار صروح الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم توالى من بعده أعمال سلاطين المماليك

وعرف هذا القصر باسم القصر الشرقي الكبير يشرف على شارع المعز أو الشارع الأعظم من ناحية ويقابله من الناحية الأخرى القصر الغربي الصغير الذي أنشئ للخليفة الفاطمي الثاني العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله وقد سمي القصر للمعز لدين الله بالقصر الشرقي لموقعه في الطرف الشرقي للمدينة التي قام بتخطيطها جوهر الصقلي اذ كان مجاوراً للصور وموقع هذا القصر اليوم المكان الذي يحتله مسجد الحسين وخان الخليلي ممتداً الى المكان الذي توجد فيه الآن المدرسة الظاهرية وقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعل جوهر للقصر الشرقي الكبير تسعة أبواب: باب العيد، باب الزمرد وباب قصر الشوك وفي الناحية الغربية كانت توجد أبواب تربة الزعفران والديلم وفي الناحية البحرية كان يوجد باب واحد هو باب الريح وكانت هذه الأبواب تحمل هذه الأسماء للدلالة على معان خاصة.

وعرفت المنطقة الواقعة بين القصر الشرقي والقصر الغربي باسم بين القصرين وقد وصفه المؤرخون بأنه أجمع أحياء القاهرة وأبرزها حيث كان مسرحاً للاحتفالات والمواكب الدينية والمدنية والعسكرية. ويذكر المقرئ أن هذا الميدان كان يتسع لعشرة آلاف من الجنود والفرسان.

مواكب واحتفالات الخلفاء

شهد شارع المعز في العصر الفاطمي أبهى المواكب والاحتفالات التي نظمها الخلفاء وشاركوا فيها بأنفسهم مما أضفى على الشارع فخامة وجلالا مثل: احتفالات حلول شهر رمضان المعظم وفتح الخليج وتخليق المقياس «دهان مقياس النيل بالمسك والزعفران» وموكب الاحتفال برأس السنة الهجرية والذي كان يجري كلية في شارع المعز الذي شهد أيضا أقخم مواكب تتويج الخلفاء والملوك والسلاطين في العصور الوسطى وحتى بعد انتهاء العصر الفاطمي كان الحكام الأيوبيون وكذلك المماليك اذا تولوا السلطنة يلبسون خلعة السلطان خارج باب الفتوح ويدخل السلطان الجديد منهم الي

للتجول في شارع المعز بالقاهرة متعة ومذاق خاص اذ يقابلك الكثير من المباني الأثرية ذات الطرز العديدة بدءاً من باب زويلة ومروراً بجامع الحاكم وزاوية أبو الخير الكلباني ومسجد وسبيل وكتاب سليمان أغا السلحدار ومنزل مصطفى جعفر وقصر بشنكا وجامع اينال ومدرسة الأشرف برسباي ومدرسة الغوري وسبيل وكتاب ومقعد الغوري وجامع الفكاهاني وسبيل محمد علي بالعقاديين ومسجد المؤيد شيخ وحمام السكرية وسبيل ووكالة نفيسة البيضا وانتهاء بباب زويلة فتعالوا معنا في جولة رائعة بشارع المعز.

اعتمد تخطيط جوهر الصقلي للمدينة على شارع رئيسي يمتد من باب الفتوح شمالاً وحتى باب زويلة جنوباً متوسطاً جبل المقطم شرقاً والخليج المصري غرباً والذين اتخذوا كحدود طبيعية للقاهرة. ولم يكن غريباً أن يلخص هذا الشارع قصة القاهرة وحتى الآن ولتجسد فيه جميع مظاهر الحضارة الإسلامية في كل عصورها ابتداء من العصر الفاطمي وحتى مطلع العصر الحديث مروراً بالعصور الأيوبية والمملوكية البحرية والعثمانية مع ملاحظة أن انتقال مقر الحكم ومركز النقل السياسي الى القلعة ومن بعدها الى القاهرة الحديثة لم يؤثر كثيراً على قيمة الشارع الحضارية والدينية والفنية والاقتصادية.

ولم يكن المؤرخون قد جانبوا الصواب حين أطلقوا عليه الشارع الأعظم والقصة الكبرى ورغم مما حكوا عنه وعن منشآته ومظاهر الحياة والحركة فيه مما يأخذ القلب ويشرح بأسباب تطوره على مر العصور فان ما خلفته العصور الإسلامية من عمائر ومنشآت وحوارات ودروب وفنون وصناعات تجعل منه كتاباً مفتوحاً يحكي بصدق عن شارع احتفظ بقيمته وحضارته أكثر من ألف عام.

القصر الشرقي

البداية كانت مع جوهر الصقلي الذي أنشأ قصراً لسيدته المعز لدين الله الفاطمي الخليفة الأول